بسم الله الرحمن الرحيم

مُنتدى الرِّواية

المِنصَّة الرَّقمية لمناقشة ومُدارسة الرِّوايات السُّودانية

الندوة رقم (4)

السبت 11 يوليو 2020م

آماليا للروائية مناهل فتحي

وانحياز الروائي اللاشعوري للنص

مداخلة الكاتب الروائي: محمد الطيب يوسف

جاءت رواية (آماليا) الرواية الأولى للروائية مناهل فتحي في 198 صفحة والحائزة على جائزة الشارقة للإبداع العربي عام 2017، إضافة للمكتبة الروائية السودانية، والتي لا زالت في حاجة للمزيد من الأقلام النسائية الواعدة، لتضفي ثراء وتنوعاً

مفتاح الرواية الأساسي كان عنوانها، ليأتي رابطاً بين عالمين، متباعدين، مختلفين، قارناً الجليد بالشمس، واضعاً ناتاليا الروسية الشابة المثقفة الجميلة التي تضج بالحياة، وآمنة التي تجسد السودان بتراثه وأصالته في عنوان واحداً، متبعة طريقة المزج بين الاسمين في اسم واحد، ليأتي آماليا، محركاً لفضول القارئ ودافعاً له من أجل الولوج إلى عالم الرواية بدافع الفضول في المقام الأول.

استخدام تقنية المزج بين كلمتين لتكوين كلمة جديدة مكونة عنواناً للرواية تعتبر نادرة، وغير معتادة في الرواية العربية، وإن كانت موجودة في الأدب الغربي بشكل عام، وهي فكرة لامعة وذكية، تعمل على تحريك بركة الفضول نحو النص، وانحياز القارئ التلقائي إليه، وهي حيلة ماكرة للراوي، يحمد عليها ولا يذم، وإن كان الصراع الحقيقي الذي عاشه دكتور خالد في داخله، قد تمظهر في زواجه من غفران وتعلقه بناتاليا، وقد كان حرياً، بتواجدهما معاً على سدة العمل، فيأتي العنوان باسم غفراليا، أو غاتاليا، وربما الضرورة الجمالية للعنوان هي ما دفعت بآمنة إلى الأمام ليأتي آماليا في معناه القريب وهو المزج بين ناتاليا وآمنة، مخفياً المعنى اليوناني المستتر البعيد وهو المحبوبة الناعمة الرقيقة، ولعمري هذه جمالية تمدح عليها الروائية، في اجتهادها لوضع مفتاحاً للرواية يحتشد بالاحتمالات الجمالية والغرائبية في آن واحد.

أتت الرواية بتقنية تعدد الأصوات، لتسلم الكاتبة دفة الحكي إلى أبطال العمل، فاستمعنا إلى غفران وذكريات الختان في شندي، واستمرت غفران في الحكي لفترة طويلة من الزمن مستخدمة تقنية الفلاش باك لتحكي عن نمط الحياة في شندي والعادات والتقاليد مقدمة لوحة أقرب للفلوكلور، وناثرة تحفظاتها على كثير من تلك التقاليد، واستمرت غفران في الحديث لفترة طويلة من الزمن، حتى يحسب القارئ أن الرواي البطل هو الصوت الأساسي في الرواية، ليأتي بعدها صوت كمال والد غفران، الشيوعي الملتزم الذي درس في روسيا، وارتباطه بثريا والدة غفران الصوفية المثقفة، وهنا عكست الكتابة الصراع بين عالمين مختلفين، أنتج غفران، التي تنتمي لعالمين، يتصارعان داخلها، لتخرج غفران المتمردة اللا منتمية، المعتدة بذاتها وموهبتها الكتابية، ثم نلج إلى عالم ثريا، وصراعها في تربية غفران مع عائلة زوجها المتوفي كمال، التقليدية، والصراع الذي عاشته لتحرر غفران وتربيها على الطريقة التي تراها مناسبة، ثم يستلم خالد زمام الحكي، ليحكي عن حياته في روسيا، والتقائه بناتاليا، وعلاقتهما، وصراعه بين عالمين، الذي تجسد حبه لناتاليا، وتعلقه بآمنة، ثم استسلامه والتنازل عن ناتاليا، ورجوعه بشكل نهائي إلى السودان ممهداً الطريق للالتقاء بغفران، ثم نشأت علاقة بينه وبين غفران لتنتقل تقنية السرد من الفلاش باك إلى السرد المباشر، لتتوارى غفران إلي حد بعيد ويستلم خالد عبد الحي دفة الحكي عن عصابة تجارة الأعضاء التي يقودها زميله السابق د التاج المنتمي للنظام الحاكم، لتختم الرواية بنهاية درامية دمويةغير متوقعة، يعترض تيار السرد في الرواية شخصية الهارب الذي دخل من الباب الخلفي ثم خرج سريعاً دون أن يخلف أثراً واضحاً.

في الرواية حين تناقش عدد كبير من القضايا، فأنت لم تناقش أي قضية، فآماليا طرقت عدد كبير من القضايا، مثل تأثير العرف والتقاليد على المرأة في المجتمع السوداني، تأثير الهجرة وصراع الهوية، البطالة والمخدرات، تجارة الأعضاء وفساد الحكام، وغيرها من القضايا التي لا تحضرني الآن، وقد يكون هذا من متلازمات الرواية الأولى، فيحاول الكاتب إفراغ الكثير من الأسئلة والقضايا التي تمور في داخله على الورق، ولكن مما يؤسف أن هذا يفضي إلى الترهل المخل بالنص، وهذا ما نلاحظه بشكل واضح في قصة الهارب، فإزالة الشخصية من الرواية لن يؤثر على تيار السرد بأي حال، وهذا أسوقه كمثال لعدد كبير من الصفحات التي كان يمكن إزالتها دون أن يتأثر النص بغيابها، وشخصيات كان حضورها باهتا في النص ولم يكن تواجدها مؤثراً، وهذا يفضي بنا للحديث عن انحياز الكاتب لنصه والتعامل العاطفي إزاءه، فالكتابة وتسويد الصفحات هو الطريق الأول لكتابة الرواية، ولكن عملية التشذيب والبتر في حزم وبعيدا عن العاطفة هي ما سيجنب الرواية الترهل والملل، خاصة وأن عصر الرواية الآن يحمل إيقاعاً أكثر سرعة، وأضحت كتابة الرواية أشبه بالرقص لا تحتمل الخطوات الزائدة.

الاقتباسات التي أتت في أول كل فصل كانت جميلة من حيث الاختيار، ولكن وجودها يحد من حرية القارئ في استنباط خفايا السرد، بتوجيهه بشكل قسري نحو ما يريد الكاتب توصيله عبر هذا الفصل، وهي نوع من الوصاية الفوقية على خيال القارئ في استقاء ما في النص، بعيداً عن أهداف الكاتب الواضحة والخفية.

لفت انتباهي غياب السلاسل المتتالية في الرواية، فاستخدام الكاتبة لضمائر المنفصلة والمتصلة، واستعمال

الأسماء بشكل نادر يصيب القارئ بالتوهان في كثير من الأحيان، ففي فصل الهارب حاولت إدراك اسم الهارب نفسه ولكن لم أستطع علما بأن صديقه يدعى إبراهيم وابن صديقه يدعى حسام، ومن اشتراطات الرواية الناجحة، ترابط السلاسل المتتالية، بحيث يدرك القارئ موطئ قدمه في الرواية ومن المتحدث، وهذا ما افتقدته الرواية في كثير من الأحيان.

الحوار الطويل الذي دار بين خالد وناتاليا ابتداء من صفحة 58 حتى صفحة 63 لم يخل من التطويل رغم انتقال الحكي من المونولوج الداخلي إلى الحوار الثنائي، ولكنه عابته المباشرة والخطابية وغلبة العاطفة على الإتقان، كما لم يخل من الهتافية والشعبوية والكاتبة تقول على لسان خالد، المثقف السوداني المقيم بروسيا بغرض الدراسة، مقولة هتلر ((لو أعطيتني سلاحاً ألمانياً وجنديا سودانياً لجعلت أوروبا تزحف على ركبتيها)) ولا أحتاج الحديث عن أن هتلر الذي كان يؤمن بعلو العرق الآري لم يقل هذه المقولة التي التقطتها كل الشعوب العربية وألصقتها ببلدها، ولابد من الإقرار بأن هذا الحوار قد أدى لتخفيض سقف التوقعات اتجاه الرواية في الصفحات التي تلته إلى نهاية الرواية، النهاية الدرامية التي انتهت بانتحار خالد لم يهيأ لها جيداً، والصراع النفسي والخارجي لم يبلغ ذروته كي يفضي لهذه النهاية الحتمية، ومحاولة الإسقاط الرمزي لعملية الانتحار وربطها بتجارة الأعضاء، وتبريره بالقياس بعملية الزائدة الدودية التي أجراها الطبيب لنفسه، لا يعد قياساً منطقياً فالأخير كان يدعو للحياة بعكس دعوة الموت الأنيقة في الأول.باعتبار أن العمل هو الأول للكاتبة فهو ينبئ بموهبة واعدة ينتظر منها الكثير، ولابد للباب أن يفتح مع كثرة الطرق، وأنا أترقب متابعة المسار التطوري

للكاتبـــة فـــي عملهـــا الثـــاني والـــذي يعتبـــر بدايـــة التحـــول الحقيقـــي من الهواية إلى الاحترافية.

محمد الطيب يوسف

روائي ســــوداني